

OPEN ACCESS

مراجعة كتاب

Book review

«قطر على بحر الخليج العربي رصد الزمن المفقود في التاريخ القديم»

شيرين المنشاوي

أستاذ التاريخ القديم وعلم الآثار، قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر

Qatar on the Arabian Gulf: A Research for lost times in Ancient History

Sherine El-Menshawy

Professor of Ancient History & Archaeology, Humanities Department, College of Arts and Sciences

sherymenshawy@qu.edu.qa

عنوان الكتاب: قطر على بحر الخليج العربي - رصد الزمن المفقود في التاريخ القديم

المؤلف: محمد حرب فرزات

الناشر: دار نشر جامعة قطر

مكان النشر: الدوحة - قطر

سنة النشر: 2020

عدد الصفحات: 238 صفحة

تدمك: 9789927139154 (مطبوع) - 9789927139253 (إلكتروني)

للاقتباس: المنشاوي، شيرين. «مراجعة كتاب: قطر على بحر الخليج العربي - رصد الزمن المفقود في التاريخ القديم، تأليف: محمد حرب فرزات»، مجلة أنساق، المجلد الخامس، العدد الأول، 2021

<https://doi.org/10.29117/Ansaq.2021.0133>

© 2021، المنشاوي، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقاً لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

صدر كتاب «قطر على بحر الخليج العربي - رصد الزمن المفقود في التاريخ القديم» عن دار نشر جامعة قطر عام 2020، لمؤلفة الأستاذة الدكتورة محمد حرب فرزات، أستاذة التاريخ القديم. يقع الكتاب في 236 صفحة. ويحتوي على أربعة فصول، إضافة إلى الملاحق والمراجع وفهرس الأشكال.

هذا العمل هو جهد يستحق القراءة والاحتفاظ بنسخة منه في المكتبة الخاصة، بل ويحتاج الأمر لإعادة القراءة في بعض من أجزائه لتطوير البحث فيها. كما طالب المؤلف بمتابعة الدراسة «عن العلاقات البشرية والتجارية بين حضارات المشرق البكرة وبلاد العرب وإقليم الخليج العربي»، حتى يمكن من وجهة نظره «كشف الكثير من مغاليق التاريخ القديم الباكر في إقليم الخليج العربي وقطر» (فرزات، 2020).

لقد اعتمد المؤلف على العديد من المصادر الأولية التاريخية والأثرية المصورة والمكتوبة التي تجلت من خلال التنقيبات الأثرية؛ للكشف عن تاريخ قطر قديماً في إقليم الخليج العربي، وقد عمد إلى مضاهاة ذلك بمصادر بلغات قديمة بابلية وآرامية. كما أنه اختبر مصادر غربية كلاسيكية لإظهار مرحلة مهمة من تاريخ قطر قديماً، معتمداً على تلك المصادر التي أكدت على أهمية الموقع الجغرافي التاريخي الاستثنائي لشبه جزيرة قطر، التي لعبت دوراً هاماً في العلاقات التجارية كجزء من العالم الحضاري القديم، وعبر العصور بين ديلمون وماجان، وإلى ملوفا، عبر سواحلها الشمالية.

ناقش المؤلف في الفصل الأول الموقع الجغرافي لقطر، والتحول التاريخي؛ حيث تناول معلومات وبيانات عن جغرافية قطر، ثم تناول الأرض والموارد الطبيعية والبيئية التي اكتنظتها أرض قطر، وكيف تشكلت عبر تاريخها الجيولوجي والتطورات الجغرافية. وناقش موارد الأرض والقار والنفط في التراث القديم، وتناول البيئة والنباتات والحيوانات. وقد اهتم المؤلف بإضافة أحدث البحوث والدراسات في هذا الجزء عن الأرض وبيئتها، ومنها دراسة علمية ميدانية عن النباتات البرية أصدرتها وزارة الصناعة والزراعة في دولة قطر بالاشتراك مع المنظمة العربية للتنمية الزراعية عام 1983، ودراسة أخرى قامت بها جامعة قطر عن البيئة القطرية والحياة النباتية عام 1986. كما تناول الحديث عن شجرة النخيل المقدسة؛ حيث أصولها الأولى في بلاد حضارة ديلمون في الخليج، فقد كشفت أسطورة إنكي عن نقل هذه الشجرة من أرض ديلمون إلى مدينة إريبدو مما يكشف عن العلاقات بين حضارة الخليج في ديلمون ومجان وحضارة بين النهرين. وكان لهذه الشجرة استخدام محدد لكل جزء من أجزائها بالإضافة إلى التمر، الذي كان يصنع منه الدبس بطريقة تقليدية كما في مدينتي الزبارة. كما تناول في هذا الفصل الحيوانات التي اعتمد الإنسان عليها بشكل رئيس، ومنها الأغنام والإبل، التي كانت ترافقها الكلاب للحراسة والصيد. وتناول كذلك الحصان العربي والكلب السلوقي والطيور والصقور. كما تناولت الدراسة الجغرافيا الطبيعية للجانب العربي من الخليج، التي أتاحت الظروف المناسبة للاستيطان البشري، ومن ثم الاستقرار العمراني، وتأسيس الحضارات القديمة، كذلك العمق التاريخي الحضاري للخليج العربي.

وتناول الفصل الثاني، الموسوم بعنوان «أرض قطر تحكي تاريخها»، الكشوف والدراسات؛ حيث نقبت بها بعثات علمية متخصصة دانهاركية وإنجليزية وفرنسية ويابانية وبعثات محلية بقيادة باحثين

قطريين. وقد تم الكشف عن مواقع أثرية تعود للعصور الحجرية، ومنها مواقع زكريت ودعسة وأبروق وأم الماء على الساحل الشمالي الغربي، ومواقع أخرى منها الخور وشقرا. كما تناول الفصل الثاني موضوع قطر في التاريخ بين الأثر والخبر، وقد ناقش الدراسات التي تناولت الصلات الوثيقة التي تربط حضارات المشرق القديم في أرض الشام والعراق بحضارة الخليج العربي، ديلمون ومجان، وقد أشار إلى دراسة بيسنجر 1983، وهى رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة ويسكونسن في الولايات المتحدة الأمريكية، وتناولت رصد تراث ديلمون في التجارة البحرية على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية في الألفين الرابع والثالث ق.م. وقد أشار إلى دراسة الأستاذ دانيال بوتس 1990-1992، التي تضمنت تاريخاً شاملاً لإقليم الخليج العربي حتى ظهور الإسلام في مجلدين باللغة الإنجليزية، ثم ترجمت إلى العربية، بالإضافة إلى مؤلف محمد عبد النعيم 1998، عن آثار قطر، فيما قبل التاريخ باللغة الإنجليزية، وكتاب الدكتور منير طه 2012 «تاريخ قطر القديم عبر العصور». وقد تطرق لموضوعات تناولت طريق التجارة بين عالم حوض البحر الأبيض المتوسط وحوض الخليج، وعلاقات تجارية بابل وماري وبلاد البحر، والنظام التجاري في القانون البابلي في الألف الثاني ق.م. وأقدم نظام تجاري في التاريخ، ووثائق من سومر وبابل والأسواق والبضائع في تجارة الخليج في الألف الثاني ق.م.

أما الفصل الثالث المعنون بـ«قطر على طريق الملاحة والتجارة عبر الخليج العربي»، فقد تضمن موضوعات قطر الأرض والبشر؛ حيث تعرض لاسم قطر، التي وردت أولاً في المصادر الرومانية الكلاسيكية، بينما ناقش اللغة التي يتحدثها السكان في قطر وسائر شبه الجزيرة العربية في فجر التاريخ. وقد ناقش قطر بين ديلمون وماجان، وكذلك قطر في صحف اليونان والرومان، كما تناول اقتحام الإسكندر المقدوني لأبواب الشرق، يلاحق جيوش الإمبراطورية الفارسية؛ حيث وجه أمره إلى قائد الأسطول نيارخوس بأن يمضي لاكتشاف الشاطئ العربي؛ تمهيداً لضم بلاد العرب لإمبراطوريته نحو 330 ق.م. حيث تكونت صورة المعلومات الأولية عن السواحل العربية، ولكنه توفي قبل أن يكمل مشروعه. وقد ناقش ورود اسم قطر والحولية في دليل الطواف حول البحر الإرتري، الذي يعد وثيقة تاريخية أصيلة للمرحلة التي كُتب فيها. وقد تناول البحث عن حويلة في التراث العربي القديم، حيث تقع أطلالها شمال مدينة الخور، وقد نقت فيها البعثة الفرنسية عام 1978، مستنتجة أهميتها التجارية في القرنين 17 و18.

وتناول الفصل الرابع الموسوم بـ«قطر علم في التاريخ» الموضوعات التالية: من صحف اليونان والرومان إلى الجغرافيا، قطر: إرث التاريخ الطويل على خط ساحل الخليج العربي، متى صار للأرض اسم؟ تعددت الأسماء والأرض واحدة، كتاب «دليل الطواف حول البحر الإرتري»، التجارة على السواحل العربية في العصر الروماني، مصدر اسم قطر، مطالعة في المصادر والمراجع وللمتابعة والنظر، ثم قطر في مصادر ومراجع سريانية، وأخيراً أنهى هذا الفصل الرابع والأخير بدراسة حول مصادر كتابة تاريخ العرب القديم، وبها ذكر العديد من الدراسات القيمة.

وفي نهاية الكتاب قدم نتائج الدراسة، التي أثبتت بالدلائل أهمية قطر قديماً، مع توضيح التواصل الحضاري والاقتصادي في العصور القديمة في إقليم الخليج، وقد نقت المؤلف بعمق وبدقة عن أصل اسم قطر مستخدماً البحث اللغوي التاريخي مما أضاف للبحث مصادر متوازنة.

نظرة تقييمية

تكشف القراءة المتأنية لهذا العمل عن الإشارة إلى أنه ربما تطلّب الفصل الأول تناول الكشوف الأثرية والدراسات التي قامت بها البعثات الأثرية؛ لأن ما تم الكشف عنه هي المصادر الأولية التي ساعدت على سد الفراغات التاريخية خلال رحلة البحث. تطرق المؤلف أيضًا إلى مواضيع عدة للتاريخ الحديث، منها: عند مناقشته جغرافية قطر في العصر الحديث في بداية الفصل الأول، علمًا بأنه كان من الأنسب أن يتطرق لجغرافية قطر قديمًا من خلال الخرائط؛ حيث مرت الخرائط القطرية على عدة مؤرخين وجغرافيين. الاتجاه الأول للخرائط؛ كان يمثل خريطة برناردوس 1511 ميلادي، التي اعتمدت على لوحة بطليموس لجغرافية العالم الكلاسيكي في عام 150 ميلادي. كان اسم قطر في هذه اللوحة هو (CATARA)، والتي نشرت أيضًا في الأطلس الإسلامي التاريخي عام 1477، أما الاتجاه الثاني للخرائط فن يعتمد على رغبة المستعمرين في رسم خريطة ملاحية تعتمد على التخيل الجغرافي للمنطقة؛ لتخدم رغباتهم، وتكون من صنع الرسامين البرتغاليين، وأبرز هذه الخرائط هما خريطتان للرسام الجغرافي كاسبارو فيجاس. وهناك خرائط عديدة تضمنت قطر في محتواها بشكل تفصيلي وآخر عام، ومنها خريطة غرب آسيا في عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب 1190، التي مثلت قطر بها على شكل نتوء في الخليج العربي. وخريطة لازارو لوييس 1563، التي وصف بها قطر على أنها حصن كبير. وخريطة الجزيرة العربية للجغرافي الهولندي برتوس 1610، تضمنت قطر باسم قاطورا (CATURA). ومن خلال قراءة الخرائط يمكن ملاحظة تطور ملامح شبه الجزيرة القطرية على مر السنوات ومع اختلاف الرسامين لها، ليتناسب ذلك مع مضمون الكتاب. أيضًا ناقش المؤلف موضوعات، مثل: نظام البداوة مع المحيط، ودور الحيوانات في العصر الحديث. وقد طرح تساؤلًا حول التواطؤ الذي يشهده العالم بين الدول لانتزاع مصادر القوة والوحدة من يد العرب، وأزمة الشرق الأوسط، وقضية القومية الأساسية، وهي موضوعات وقضايا أبحرت في اتجاهات التاريخ الحديث رغم حرصها على ربط ذلك بالتاريخ القديم. وفي الفصل الرابع؛ أعاد المؤلف تناول البعثات الكشفية مرة أخرى في نقطة الماضي التليد للخليج في بعض المواضيع، وكان قد تحدث عن بعضها في بداية الفصل الثاني. ثم تطرق للحديث عن اسم قطر في التاريخ وكان قد ناقشه خلال الفصل الثالث أيضًا. ثم أشار إلى كتاب «دليل الطواف حول البحر الإرتري» عند حديثه عن التجارة على السواحل العربية في العصر الروماني، حيث تمت الإشارة إلى هذا الكتاب في أكثر من موضع في الفصل الثالث؛ حتى يتفادى التكرار.

وهناك مصادر مهمة يمكن إضافتها إلى هذا العمل القيم، منها؛ دراسة الدكتورة هيا جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ. مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1997؛ وكذلك دراسة:

Michael Rice. *The Archaeology of the Arabian Gulf, c. 5000-323 BC*. Routledge, London & New York, 1994.

وأخيرًا، فقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب القيم والمفيد للباحثين والدارسين عن الخليج العربي عمومًا وعن تاريخ قطر القديم خصوصًا، وهو يعد نموذجًا تاريخيًا علميًا للدراسة الموضوعية المعمّقة، بالإضافة إلى أنه يشكل إثراءً للمكتبة التاريخية العربية.